الكناية في المقامات النظرية

الحر حفيز حاشوش **أ.د.اسراء خليل فياض**

Alhur.hafeez@gmail.com dr.israaalJuboori@uomustansiriyah.edu.iq

الجامعة المستنصرية ، كلية التربية

المستخلص :

إنَّ المقامة من الفنون الأدبية التي اخذت حيّزًا كبيرًا وصدى واسعًا حين ظهرت، فانشغل بها الناس وأبهرتهم حتى صار لها مجلسها الخص الذي يجتمع إليه الناس لسماع تلك القصة الخيالية التي شغلت أذهانهم وهي تنقلهم في عالمها المتخيل إلى عوالم تجرهم فيها إلى الانصات إلى ملقيها، أو مؤلفها، وهي تحكي لهم حكايات شخصياتها بمسميات يعهدونها، لكن ليس لها وجود على أرض الواقع، فصار لهذا الفن مؤلفوه الذين أخذت المقامة على أيدهم حيّز الوعظ، والإرشاد تارة، والتهكم وازدراء الوضع بصورة خفية تارة أخرى، وكل ذلك يتخلل أسلوبها الممتع، والشيق الذي يشد الانتباه إليه، وما دامت الوسيلة التي تعتمدها المقامة هي اللغة، فلا بد أن تستثمر جميع طاقاتها الإنتاجية، وفنونها الأدبية، وعلومها المتنوعة، فكانت البلاغة ذلك العلم الذي استند عليه كُتاب المقامة، فوظفوا الاساليب المختلفة فيها ومنها الكناية موضوع بحثنا هذا .

الكلمات المفتاحيّة: المقامات ، الكناية ، البلاغة العربية ، الفنون الأدبيّة

Metaphor in theoretical positions

Alhur hafeez hashoosh **Israa Khalil faiadh**

Mustansiriyah University / College of Education

Abstract

Maqama is one of the literary arts that took on a large space and wide resonance when it appeared. People were preoccupied with it and dazzled them until it became its own seat where people gathered to hear that imaginary story that occupied their minds as it transported them in its imaginary world to worlds in which it dragged them to listen to its narrator or its author. It tells them the stories of its characters under names they are familiar with, but they do not exist on the ground in reality, so this art has its authors, through whose hands the establishment takes on the realm of preaching and guidance at times, and sarcasm and disdain of the situation in a hidden way at other times, and all of that permeates its fun and interesting style that attracts attention. To him, as long as the medium adopted by the Maqama is language, it must invest all its productive energies, its literary arts, and its various sciences. Rhetoric was the science upon which the writers of the Maqama relied, so they employed various methods in it, including metonymy, the subject of our research.

Keywords: Maqamat, metonymy, Arabic rhetoric, literary arts

المقدمة :

نسلط الضوء في هذا المقام على فاعلية الكناية ودورها في المقامات النظرية .والكناية لغة يأتي لفظها من أصل واوي، أي (كنو)، أو أصل يائي، أي (كني)، لكن الرأي الأكثر قربًا هو رجوعها إلى الأصل اليائي.والكنية على ثلاثة أوجه: أحدهما أن يكنَّى عن الشيء الذي يستفحَش ذكرُه، والثاني أن يكنَّى الرجل باسمٍ توقيرا وتعظيما، والثالث أن تقوم الكنية مقام الاسم فيعرف بها. (منظور ج.، 1980)

أما الكناية اصطلاحا:"فهي لفظ أريد به غيرُ معناهُ الذي وضع له، مع جواز إرادة المعنى الأصلي، لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته" (الهاشمي، 1967).

وعرفها عبد القاهر الجرجاني بقوله: «والمراد بالكناية ههنا أن يُريد المتكلمُ إثباتَ معنًى من المَعاني، فلا يذكُرُه باللّفظِ الموضوعِ له في اللُّغة، ولكنْ يَجيءُ إلى معنى هو تاليهِ ورِدْفُه في الوجود، فيومئ به إليهِ، ويجعلهُ دليلًا عليه، مثال ذلك قولُهم: "هو طَويلُ النَّجاد"،

يريدونَ طويلَ القامة "وكثيرُ رمادِ القِدْر" يَعْنون كثيرَ القِرى وفي المرأة: "نَؤومُ الضُّحى"، والمرادُ أنها مُتْرفةٌ مخَدْومة، لها مَنْ يَكفيها أمْرَها، فقد أرادوا في هذا كُله، كما تَرى، معنًى، ثمَّ لم يَذْكُروه بلفظِه الخاصِّ به، ولكنّهُم توصَّلوا إليه بِذِكْر معنًى آخر مِنْ شأنِه أن يَرْدُفَه في الوجود، وأنْ يكونَ إذا كانَ» (الجرجاني.، 1992).

وقال أبو الإصبع: "هي أن يعبر المتكلم عن المعنى القبيح باللفظ الحسن، وعن الفاحش بالطاهر" (شرف، د.ت)

وبذلك "فالكناية: أن تتكلم بشيء وتريد غيره، وكنى عن الأمر بغيره، يكني كناية، وتكنى: تستر، من كنى عنه إذا ورى". (مطلوب، 1403هـ - 1983)

ومعنى ما سبق أن الكناية تعبير عن معنى معين تريد إخفاءه بألفاظ ترتبط به ارتباطا عقليا، ومنطقيا، وهي بكل بساطة ذكر النتيجة وقصد السبب.و تنقسم الكناية إلى أقسام عديدة راجعة إلى اعتبارات متعددة فهي تنقسم بحسب المعنى أو المكني عنه إلى ثلاثة أقسام، بينما تنقسم باعتبار الوسائط والسياق أو اللوازم إلى أربعة أقسام.فتنقسم الكناية بحسب المعنى الذي تشير إليه إلى ثلاثة أقسام:

1- كناية عن صفة. وهي التي يذكر فيها الموصوف ويراد بها الصفة.

2- كناية عن موصوف. وهي التي يذكر فيها ويراد بها الموصوف، أي: الذات.

3- كناية عن نسبة. وهي الكناية التي يطلب بها (صفة) هي ما كان المكنى عنه فيها صفة ملازمة لموصوف مذكور في الكلام. (الهاشمي، 1967)

وللكناية مزية كبيرة عن التصريح فإنها تدلك على المعنى ومعنى المعنى. واللازم للمعنى والمقابل له في الوقت ذاته، وفي ذلك المعنى يقول عبد القاهر الجرجاني: «وأنَّك إذا سمعتهم يقولون: إن من شأنِ هذهِ الأجناسِ أن تُكْسِبَ المعانيَ مزيةً وفضلًا، وتوجب لها شرفًا ونبلًا، وأن تفحمها في نفوس السامعين" فإنهم لا يَعْنون أنفُسَ المعاني، كالتي يَقصِد المتكلِّمُ بخَبره إليها، كالقِرى والشجاعةِ والتردُّدِ في الرأي؛ وإنما يَعْنون إثْباتَها لما تُثْبَتُ له ويخبر بها عنه. فإذا جَعلوا للكنايةِ مزيةً على التَّصريحِ، لم يَجْعلوا تلكَ المزيةَ في المعنى المكنَّى عنه، ولكنْ في إثباته للذي يثبت له... أنك إذا كنَّيْتَ عن كثرةِ القِرى بكثرةِ رمادِ القدر، كنتَ قد أثبتَّ كثرةَ القِرى بإثباتِ شاهدِها ودليلِها، وما هو علم على وجودها» (الجرجاني.، 1992)

ومن خلال مطالعتنا واستقصائنا للمقامات النظرية ,وجدنا أن الكناية عن الصفة شكلت عنصرا مهيمنا وفاعلا في المقامات النظرية أكثر من النوعين الآخرين ,وتأتي بالمرتبة الثانية الكناية عن النسبة ,بينما شكلت الكناية عن الموصوف نسبة أقل من النوعين الآخرين ,لذا فاننا آثرنا أن نبتدأ في حديثنا عن الكناية في المقامات النظرية ,بالأغلب ثم الأقل حضورا .

1-الكناية عن الصفة في المقامات النظرية :

وهي التعبير عن الصفة بذكر النتائج المترتبة عليها، بدون ذكر الصفة نفسها. فلو قلنا: (فلان كثير الرماد)، فهذا يعني أنه كريم؛ لأن كثرة الرماد من كثرة النار، وكثرة النار نتيجة لكثرة الطبخ، وكثرة الطبخ لكثرة الضيوف، وكثرة الضيوف علامة الكرم. (الجرجاني.، 1992)

وقد أشار البلاغيون - بنحو غير مباشر - إلى أن الصفات البشرية المادية، مثل (الطول، والجمال، وغيرها)، هي ما يكنى بها عن الموصوف، أما الصفات المعنوية مثل (الكرم، والشجاعة، وغيرها)، فهي ما يكنى بها عن الصفة. (الجرجاني.، 1992)

ومما ورد في المقامات النظرية من الكناية عن الصفةماجاء في احدى مقاماته :

"روى الناصر بن فتاح قال وصف لي بيجافور شيخ خبير بتجربة الأمور ....حتى حضرت صلاة العيد ,وقد قيل لي أن حاجتك عند خطيبها المضمخ بعنبرها وطيبها ,فتقدمت الى الصف الأول وشاركت من كبر وهلل ,...ثم سألته عما رمته واليه قصدته ,فقام وقال :اجلس في مكانك واصبر بقدر امكانك ,فسآتيك بعد حين ,وأبين لك الغث من السمين,فمكثت على مضض وملل. (المقامات النظرية : للحضرمي، 1999)

اعتمد الحضرمي على اسلوبية الكناية في قوله وأبين لك الغث من السمين، وهي كناية عن صفة البيان والتوضيح، والرغبة في كشف النقاب عن خفايا الأمور، والتمييز بين الحق والباطل، فدلَّل على الباطل بدليل عليه، هو الغث، بما يعزز في نفس السامع أثره، وجعل السمين دليلًا على الحق؛ لتعزيز الأثر المقابل له في نفس السامع، مما يؤكد لديه مبدأ المفارقة بين نقيضين.وقد ارتبطت المفارقة بين الكنايتين بالفعل (أبين)، فكان البيان هو المحور الذي تدور عليهما الكنايتان.وأدى حرف الجر (من) معنى الانسلاخ،

والقدرة على التمييز، فتوسطت متناقضين مختلطين يحتاجان إلى الفصل، فبرزت الحاجة إلى المبيّن الذي يمتلك القدرة على ذلك. كما اكتسبت الكناية عمقًا نابعًا من المقام التداولي؛ حيث أدى الجار والمجرور (لك) معنى الخطاب الذي يبرز قيمة البيان؛ لتحقق وقوف المتكلم على حقيقة المبيَّن، فلا قيمة له إلا إذا وقف السامع على حقيقته.

ومن تجليات الكناية عن الصفة قوله في احدى مقاماته :"**حدث الناصر بن فتاح قال :لم أزل أجوب البحر والبر ,وأكابد البرد والحر ,أنضو مطايا السفر ,حتى ولجت مدينة سكر ...ثم ذهبت الى موضع قاضيها الذي بيده حكم دانيها وقاصيها ,فرأيت الناس يأتون من كل فج عميق...ولم نبرح اذ أقبل شيخ طويل النجاد، كأنه من قوم عاد**" (المقامات النظرية : للحضرمي، 1999)

جاءت الكناية في قوله: طويل النجاد، وهي كناية عن صفة الطول وعِظَم الخلقة، فدلَّل على الصفة بدليل عليها، هو طول النجاد، الذي يقتضي معناها صفة الطول نفسه.وكان لاقتران الشيخ المذكور بقوم عاد أثره في تقوية أثر الكناية في النفوس؛ كون الشيخ القادم قد دخل على الحضور فجأة، مع إبراز صفة الطول التي قيَّدها الهِرَم، مما كان من قبيل المفاجأة، التي استدعت الكناية، فيشترك المتلقي مع المتكلم في الشعور نفسه , الذي شعر به الحضور، من ذلك القادم في صحبة الشاب، ومع اقتران شيخوخة القادم بشباب من يصطحبه، برزت قيمة الشكوى من تربية الشيخ لمن لم يحفظ جميله.كما ضاعف التشبيه من قيمة الكناية؛ عن طريق ترشيح الصورة، فتتابعت صورتان بيانيتان كان لهما الأثر المطلوب في بيان أن الصورة التي ظهر عليها الشيخ مما لا يمكن اعتياده في الحقيقة، مما اقتضى اللجوء إلى المجاز؛ لتقريب الصورة لذهن السامع.

ومن الصور الكنائية ,الفاعلة في المقامات النظرية ,قوله في أحدى المقامات :"**حدث الناصر بن فتاح قال...فطلع علينا رجل كأنه قام من الرمس، ويكاد بمشيه يكسر الحصى، وفي يمينه حبل وفي يده عصا**) (المقامات النظرية : للحضرمي، 1999)

اعتمد المتكلم على الكناية في قوله: ويكاد بمشيه يكسر الحصى، وهي كناية عن صفة القوة وثبات الخطوة، فدلَّل على المعنى بدليل هو كسر الحصى. ليغرس في النفوس معنى القوة والثبات.وقد أدى ما سبق الكناية وما تلاها دورًا في تثبيت المعنى المطلوب في نفس السامع، كتنكير لفظ (رجل) لتعظيم خلقته، بينما أوحى الجار والمجرور (علينا) باقتراب من يُخشى شره من المتكلم، وقد عزَّز إمساكه بالحبل والعصا من ذلك الأثر، فبدت الصورة كلها تنذر باقتراب شر كبير من المتكلم في العبارة.وجاء النغم الموسيقي النابع من السجع (الحصى–العصا)؛ لتغذية الحدث المسرود بمؤثر صوتي يضاعف من هول المفاجأة، فتمثل السامع الصورة ببصره، وسمعها بأذنيه مما أسهم في اكتمال الصورة لديه، وتأكيدها في نفسه.كما أدى لفظ (الرمس) معنى الفزع؛ إذ تخيل المتكلم القادم كأنه خارج لتوه من القبر، وكذلك الفعل (طلع) الموحي بالمفاجأة، وهو أدعى لاسترابة المتكلم في القادم ونواياه، مع استخدام لفظ (يمين) الذي يزيد من معنى التأهب والحيطة، فبدا الجانب النفسي في الكناية أشد وضوحًا لدى السامع.

ومن ذلك ماجاء في احدى المقامات النظرية :"**حدثنا الفتاح بن ناصر وسمعت قائلا يقول :مساكين أهل البلد، مات سلطانهم، وفُقِد إنسانهم، وشمر أولاده للحرب**" (المقامات النظرية : للحضرمي، 1999)

قد اعتمد المتكلم على الكناية في قوله: وشمَّر أولاده للحرب، وهي كناية عن صفة الاستعداد والأهبة، ودلَّل المتكلم على هذا المعنى بالتشمير؛ لأنه من لوازم الاستعداد والتأهب.وضاعف من قيمة الكناية التمهيد لها؛ بالحديث عن الظروف النفسية للشعب الذي فقد سلطانه، وتوارث أبناء السلطان للمُلك، الذي استباحه المعتدون الغزاة، مما استدعى تشميرهم للحرب، واسترداد ملكهم المفقود.وجاء الفعل المبني للمجهول (فُقِد) موحيًا بالمفاجأة، من سقوط الملك فجأة دون إنذار، مما ضاعف من الهول المتضمَّن في الكناية، والموجب للاستعداد والتشمير.وكان للسجع دوره في إضفاء نغمة موسيقية حزينة تبرر حزن الناس من ناحية، والتشمير للحرب، في قوله: مات سلطانهم، وفُقِد إنسانهم، فشاعت تلك النغمة تبر الحزن في حق الناس، والتشمير والتأهب في حق أبناء السلطان، فكان للكناية دلالة لفظية، وأثر مصاحب لها، ناتج عن الجرس الموسيقي للسجع.

ومن الكناية عن الصفة قوله في احدى المقامات النظرية :"**حدثنا الناصر بن فتاح سمعت بأن في أحمد أ باد رجلا له في الحديث اليد الطولى، وقد شهِر بعلو الإسناد**" (المقامات النظرية : للحضرمي، 1999)

اعتمد المتكلم على الكناية في قوله له في الحديث اليد الطولى، وهي كناية عن صفة التمكن في العلم وفنون الجدال، فدلَّل المتكلم عليه بطول اليد، وهو مشهور عن العرب، الذين عبَّروا عن التمكن بطول اليد، وبُعد الباع في مناقشة المسائل العلمية، فاستخدمه مؤلفو المقامات (علي، 1873م).كما أدى قوله: اشتهر بعلو الإسناد دوره في تقوية الكناية في نفس السامع، حيث يقتضي علو

الإسناد سماعه عن المتمكنين في العلوم، فتكون له اليد الطولى في المناقشة وإفحام المناقشين.كما تناسب اللفظان: الطولى–علو في ترابط منطقي؛ إذ جاء الثاني تعليلًا للأول، من التمكن أمام الخصوم كنتيجة لعلو الإسناد، والسماع على كبار أهل العلوم والفنون.

ومن ذلك ماجاء أيضا في أحدى المقامات النظرية :" **حدثنا فتاح بن ناصر ...فسحر رفيقي أهلها سحر كلامه، فصاروا لا يمشون إلا تحت أعلامه**" (المقامات النظرية : للحضرمي، 1999)

اعتمد المتكلم على الكناية في الجملتين، فجاءت الكناية الأولى: فسحر رفيقي أهلها سحر كلامه، كناية عن صفة البلاغة والبيان، والقدرة على الاستمالة، فدلَّل المتكلم على هذا المعنى بدليل وقوع الناس تحت تأثير الكلام، فيبدون كالمسحورين وكان للفظ السحر دلالته التي مهَّدت للكناية الثانية، لا يمشون إلا تحت أعلامه، وهي كناية عن صفة الانقياد والخضوع، مما رسَّخ في نفس السامع هذا المعنى، حيث لا يستطيع المسحور مقاومة السحر، فلا يملك سوى الانقياد والإذعان.وأسهم السجع في إشاعة جرس موسيقي خاص، يوحي بالانتظام الذي يعكس شدة الطاعة، ومن ثم، يغذي ذلك الشعور لدى السامعين.

ومن الكناية عن الصفة ماجاء في أحدى المقامات النظرية : حدث الناصر بن فتاح :"**ولا رأيت ترابها إلا نسيت العبير والعنبر، فألقيت بها عصا تسياري)** (المقامات النظرية : للحضرمي، 1999)

اعتمد المتكلم على الكناية في قوله: فألقيت بها عصا تسياري، وهي كناية عن صفة الاستقرار، والرغبة في طول المقام، حيث دلَّل المتكلم على المعنى المقصود بإلقاء العصا، وترك السفر، والرغبة في المكوث بالبلدة.ومهَّد المتكلم للكناية بما سبقها، من أنساه العبير والعنبر عندما رأى ترابها، حيث دلت الرؤية على الاستغناء عن حاسة الشم، مما يدل على انتشار طيب الرائحة في كل مكان، فكان ذلك مبررًا لإلقاء العصا، والاستقرار في تلك البلدة الطيبة، التي يختلط ترابها بجميل الروائح.واستخدم المتكلم الأفعال الماضية، في الجملتين؛ للدلالة على التحقق، وتأكيد ما رآه من حسنها، ومن ثم، تأكيد الرغبة في البقاء، وأكد على المعنى باستخدام العصا التي حملت دلالة التعب والنصب من الارتحال، والانتقال من مكان إلى مكان.

ومن ذلك قوله في احدى المقامات النظرية :"**حدث الناصر بن فتاح ...هذه الدنيا الغرور، لا تُحَصَّل إلا بالزور**" (المقامات النظرية : للحضرمي، 1999)

اعتمد الشاعر على الكناية في قوله: لا تحصل إلا بالزور، وهي كناية عن صفة النفاق والملاينة، والانحناء أمام تقلبات الزمن والمحن.وقد دلَّل المتكلم على هذه المعاني بالزو وقد دلَّل المتكلم على هذه المعاني بالزور، كدليل عليها مما اقتضى من السامع تمثُّلها في ذهنه، فاعتمد المتكلم على التجارب الحياتية لمن يسمعه؛ لتأكيد ما يعو إليه.وضاعف السجع من قيمة الكناية، فتصاعد جرس موسيقي يغذي الحدث المسرود بالإيقاع المناسب للسرد، وانطلاق الحكمة من مجرب خبير.كما دلَّ الفعل المبني (تُحَصَّل) على على العموم والشمول، كتأكيد للمنهج المدعو إليه من قِبَل المتكلم، مما يُشعِر بشيوع هذا المنهج بين الناس، واستقاء المتكلم له من مخالطته لهم، فكانت الكناية محورًا تدور عليه المعاني في العبارة كلها.

2 –الكناية عن النسبة في انمقامات النظرية:

وهي التعبير عن الصفات التي يريد المتكلم التعبير عنها ,وبالألفاظ والمعاني نفسها، لكن لا ننسب هذه الصفات لموصوفها، إنما ننسبها إلى مملوكاته، كأن يكون الدكان، أو البيت، أو غيرها، ويكون القصد لصاحب هذه الممتلكات، وفي قول العرب: (هذا بيتٌ كريمٌ)، أي إن صفة الكرم ليست منسوبةً لهذا البناء الحجري، إنما لمن هو صاحب البيت، فالمعنى هو: (صاحب هذا البيت كريم)، لذا جيء بالكناية لزيادة البلاغة، وجمال العبارة. (الجرجاني.، 1992) ومما ورد من الكناية عن النسبة في المقامات النظرية,ماجاء في احدى المقامات النظرية :"حدث الناصر بن فتاح ...**ثم إنه أغمد عضب لسانه، وأخفى بديع بيانه**" (المقامات النظرية : للحضرمي، 1999)

اعتمد المتكلم على الكناية في قوله: أغمد عضب لسانه، وهي كناية عن نسبة، حيث جمع المتكلم بين الكناية عن صفة، وهي عدم الرغبة في الكلام، فضلا عن الكناية عن موصوف، وهو السيف، ودلَّل على المعنى بإغماد السيف في غمده، مما يوحي بالانقطاع والكف، بالإضافة إلى إخفاء بديع البيان، على النحو الذي أكَّد للسامع ما يريده المتكلم، وتأكد المعنى باستخدام المؤكد (إن) التي أتت بعد (ثم) التي تفيد التراخي، على النحو الذي أكَّد على الرغبة في الصمت وعدم الكلام.وأدى الترادف بين: أغمد–أخفى معنى

التأكيد على انقطاع الكلام، وهو ما اشتاق إليه الحضور، من سماع درر لفظه وبيانه، بالإضافة إلى الجرس الموسيقي النابع من السجع: لسانه–بيانه مما يؤكد على عدم رغبة الرجل في الكلام.

ومن الكناية عن النسبة ماجاء في أحدى المقامات النظرية ايضا :"حدث الناصر بن فتاح ... ومن لم يعش بالمكر عاش أخا بلوى" (المقامات النظرية : للحضرمي، 1999)

اعتمد الشاعر على الكناية في قوله: أخا بلوى، حيث جمع المتكلم بين الكناية عن صفة، وهي الابتلاء والمحن، وكذلك الكناية عن موصوف، وهو المبتلى نفسه، وقد تناول الشاعر الكناية فيما يجري مجرى الحكمة، من التأكيد على أن الحياة لا تحترم الضعفاء قليلي الحيلة، وأكَّد المعنى بأسلوب الشرط، حيث استغرقت (من) العاقلين، مما يجعل الحكمة وليدة تجربة حياتية لدى المتكلم، وكان لقوله: يعش بالمكر دلالة المنهجية المنظمة للفعل، مما يقتضي التكرار والاعتياد، فترسخ لدى السامع قيمة النصيحة التي يسوقها الشاعر.كما أوحى لفظ (بلوى) بالابتلاء، وقهر الأيام للمبتلى، مما يعزز من قيمة المكر كسلاح فعال إزاء تقلبات الأيام وحوادث الزمان.

وكذلك ماجاء في احدى المقامات النظرية "**حدث الناصر بن فتاح ...**

(وَقَدْ مَاتَ مَنْ يُخْفِي مَضاضَةَ خَطْبِهِ وَقَدْ عَاشَ ذُو قَلْبٍ جَسورٍ أَخا نَجْوى). (المقامات النظرية : للحضرمي، 1999)

اعتمد المتكلم على الكناية في قوله: أخا نجوى، وهي كناية عن نسبة، حيث جمع بين الكناية عن صفة الانتشار وذيوع السيرة بين الناس، حتى يصبح قوي القلب حديثًا يتناجى به المتناجون في مجالسهم، كذلك الكناية عن موصوف، هو صاحب القلب الجسور نفسه.واستطاع الشاعر التمهيد للكناية عن طريق المفارقة بين الشطرين، حيث قارن بين من يخفي مرارة الأيام بداخله، ويموت بغصته ناقمًا على الدنيا، وبين قوي القلب الذي يقتحم الصعاب، ويقهر الشدائد، فتصير سيرته بين الناس مما يُحمَد، ويُذكر بالخير بينهم. وفضلا عن ذلك استخدام الشاعر (من) مقترنة بالفعل (يخفي) في حق الضعيف الذي لا يقوى على المواجهة، بينما استخدم (ذو) للملكية في حق الجسور الجريء الذي لا يهاب الموت، وكأن يمتلك مصير نفسه، فلا يكون للخوف عليه سبيلًا.وأسهم الطباق في تقوية دلالة الكناية، بين الحياة والموت، حيث نسب الموت إلى الضعيف، بينما جاءت نسبة الحياة للقوي تأكيدًا على تبني الشاعر ذلك المنهج في حياته، نصحه للسامع باتباع منهجه.

ومن ذلك ماجاء في أحدى المقامات النظرية :"حدث الناصر بن فتاح ,فلما دخلته وجدت فيه جماعة من الأمراء ,والرؤساء والكبراء ,عاكفين على شرب الراح , وسماع غذاء الأرواح" (المقامات النظرية : للحضرمي، 1999)

اعتمد الشاعر على الكناية في قوله: غذاء الأرواح، وهي كناية عن نسبة، حيث جمع المتكلم بين الكناية عن الصفة ، وهو المسموع، وكذلك الكناية عن موصوف، وهو السامع نفسه، وجاء الاعتماد على حاسة السمع كدلالة على استطابة السامع لما يسمعه، فضلا عن ذلك فأن الرؤية تكون بإرادة الرائي، أما السماع فيكون بلا إرادة، مما يجعل استماع غذاء الأرواح مما انتشر في جلسة السامعين، فاتجهوا له بأسماعهم عامدين؛ كدليل على تلك الاستطابة، واستملاحهم للمسموع.

ومن ذلك ايضا ماجاء في احدى المقامات النظرية ,"**حدث الناصر بن فتاح ...قال الأمير:أعلم أيها الملك لا زالت رايات قهرك بالآفاق منشورة** (المقامات النظرية : للحضرمي، 1999)

اعتمد المتكلم على الكناية في قوله: رايات قهرك في الآفاق مرفوعة، هو ما جمع فيه بين كنايتين: كناية عن صفة، وهي العلو والشموخ، وكذلك الكناية عن موصوف، وهو المرفوعة راياته نفسه.وأسهم اسم المفعول (مرفوعة) في إضفاء معنى الثبات والاستقرار في نفس السامع، وهو ما يعزز معنى العلو، ويؤكد على استمرارية رفع الرايات.كذلك، دل الفعل (لا زالت) على معنى الاستمرار السابق، وجاء لفظ (قهرك) مصدرًا مضافًا لياء المتكلم بلا معمول؛ لإفادة الإحاطة والعموم؛ إذ لا يستطيع أحد مواجهة مرفوع الرايات، وجاءت (الرايات) جمعًا للكثرة المناسبة لعلو الشأن، فاكتسبت الكناية المقومات اللازمة لإحداثها الأثر المطلوب في نفس السامع.

ومن الكناية عن النسبة ايضا ماجاء في احدى المقامات النظرية ,"حدث الناصر بن فتاح ...فخافوا من اتساع الخرق على الراقع. (المقامات النظرية : للحضرمي، 1999)

اعتمد المتكلم على الكناية في قوله: اتساع الخرق على الراقع، حيث جمع المتكلم بين الكناية عن صفة انفلات الأمر، وخروجه عن السيطرة، فدلَّل على ذلك باتساع الخرق، وكذلك الكناية عن موصوف، وهو المُتَّسع عليه نفسه، أي: من يفلت منه زمام الأمور، على النحو الذي أشاع في العبارة معنى الخوف الشديد من العجز عن السيطرة وامتلاك أزِمَّة الأمور.كذلك، فقد أدى الطباق بين

الخرق–الراقع معنى المفارقة، فكأن المتكلم قد عمد إلى عقد مقارنة في ذهن السامع بين النجاح في امتلاك الأمر والعجز عن ذلك، مما قوّى الكناية، فاعتمدت على التخييل الذهني لكل حالة على حدة، مما يرجح معه خيار الحرص والخواف الواردين في العبارة.

ومن ذلك ماجاء في أحدى المقامات النظرية ,"حدث الناصر بن فتاح ... قل للذي بخلو الكف عيرني قد ضل من يحمل الدنيا على كتفه ". (المقامات النظرية : للحضرمي، 1999)

اعتمد المتكلم على الكناية في قوله: خلوّ الكف، وهي كناية عن نسبة، حيث جمع المتكلم بين كناية عن صفة، وهي الفراغ والإفلاس، والكناية عن موصوف، وهو حامل اليد نفسه، فجاء السياق داعمًا للمعنى المقصود، من الإفلاس والفقر، مما كان مدعاة للمعايرة التي أضفت على المعنى بُعدًا اجتماعيًّا من التعيير بالفقر والعوز.كما دلَّ الفعل: قل على معنى الإخبار مما يدل على شيوع خبر الإفلاس بين الناس، على النحو الذي يقتضي الرد، وهو مدلول الاسم الموصول (الذي) مما يستغرق المعيّرين جميعًا، كما أدى التقديم والتأخير (للذي) معنى التخصيص، فاكتسبت الكناية عفًا نابعًا من السياق الذي أفرزها.

3–الكناية عن الموصوف في المقامات النظرية

وهي التعبير عن حالة الموصوف بذكر نتيجة من نتائج اتصافه بهذه الصفة دون أن نذكر الصفة نفسها، فلو قلنا: **(فلان طويل النجاد)** ـ والنجاد هو محمل السيف ـ فهذا يعني أن صاحب النجاد طويل، وإذا كان صاحب النجاد طويلا، فهذا يعني ـ كما يدعي العرب ـ أنه قوي وشجاع. فبدلا من أن يصرح المتكلم بقوة الرجل وشجاعته، عبر بذلك التعبير البلاغي الجميل.(الجرجاني.، 1992)

ومما ورد من الكناية عن الموصوف في المقامات النظرية:

ماجاء في قول الحضرمى في المقامة السكرية:"**حدث الناصر بن فتاح قال:لم أزل أجوب البحر والبر،وأكابد البر والبحر،أنضو مطايا السفر،حتى ولجت مدينة سكر فتطيرت بهذا الاسم القبيح،وضاق على بذلك كل فسيح،فمكست أياماً معدودة ،وأنا في هم وغم مع علمى بأن الطيرة غير محمودة ,ثم ذهبت إلى موضع قاضيها الذى بيده حكم دانيها, وقاصيها،فرأيت الناس يأتون من كل فج عميق ويسألونه عن الجليل والدقيق،ولم نبرح إذا أقبل شيخ طويل النجاد كأنه من قوم عاد،وقد أخذ بيد شاب حسن المظهر،تقرأ من صفحات وجهه وفلتات لسانه للأدب أفصح صورة,**

فقال الشيخ:إعلم أيها القاضي لا زالت أحكامك كالمواضى إنى أصرفت في تربية هذا الولد عمرى،وأنفذت في تأديبه عامي وشهرى ،ثم لما رأى ضعفى وابيضاض شعرى،عصانى وسرق شعرى،فقال القاضى:للولد كيف تسرق شعر أبيك،وبه كان يغذيك ويربيك.فقال الولد: لا، ومن برأ النسمة ,وفلق الحبة،وقذف في قلبى جزيل المحبه،إنى لم أنقض بره ولم أسرق شعره

فقال الشيخ:سرق والله أيها القاضي أبياتى النونية وأثبتها لنفسه بعد أن غيرها دالية،فقال القاضي حسن نياتك وأنشد أبياتك فقال الشيخ شعراَ .(المقامات النظرية : للحضرمي، 1999)

اعتمد المتكلم على الكناية في قوله، من برأ النسمة، وفلق الحبَّة، وهي كناية عن موصوف، هو الله تعالى، وقد عمد المتكلم إلى التكنية عنه بما يناسب مقام شكواه من الولد الذي ربَّاه صغيرًا، فعقَّه كبيرًا، ولم يحفظ له مآثره وجميل صنعه، فكان الأنسب الكناية بما يدل على ابتداء الخلق من العدم في حق النسمة والحبة، على النحو الذي يشاكل تربيته للولد العاق. وقد اكتسبت الكناية قوتها من معرفة السامع بالمكنَّى عنه في العبارة، مما أتى بطلاقة القدرة الإلهية في معرض بسط الشاكي لشكواه، وهو أدعى إلى استمالة قلب القاضي، واستشعاره الضرر النفسي البالغ الواقع عليه.

ومن ذلك قول الحضرمى في المقامة السهرندية:(**فأدخلوني محل الواسطة من القلادة، وأفادوني الحسنى وزيادة)** (المقامات النظرية : للحضرمي، 1999)

اعتمد المتكلم على الكناية في قوله: محل الواسطة من القلادة، وهي كناية عن موصوف، هو ما يتوسط القلادة من الجواهر الكبيرة، مما يعكس شدة إكرام المُتَحدَّث عند المتكلم، وهو ما أكده بقوله: وأفادوني الحسنى وزيادة، وهو ما عمَّق معنى الكناية؛ لاقتباسها من قوله تعالى: ((**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**))[سورة يونس: 26].وكان لاسم المكان (محل) دوره في بيان المكانة التي تمتع بها المتكلم بين القوم، فجاءت نابعة من المكان الدال عليه المشتق، فضلا عن الشعور بالامتنان والإعجاب تجاه المضيفين، فقوي أثر الكناية في نفس السامع؛ باعتماد تلك العوامل اللفظية والمعنوية الداخلة فيها.

ومن ذلك قوله أيضاً فى المقامة الأرنكابادية **(فقلت له هون عليك،فإنه لا يعود إليك،فإن الفتى فتى أبى المظفر الذى يحير بأفعاله الفكر،فلا تندم على ما فات،واعمل بالحزم فيما هو أت، فاستغفِر الله سبعين مرة، وتعوذ بالله من أبي مرة).** (المقامات النظرية : للحضرمي، 1999)

اعتمد المتكلم على الكناية في قوله: أبي مُرَّة، وهي كناية عن موصوف، هو الشيطان لعنه الله تعالى.وجاءت الكناية في معرض نصح المؤلف للشيخ بقوله فاستغفِر الله سبعين مرة، وتعوذ بالله من أبي مرة) (المقامات النظرية : للحضرمي، 1999) ، فارتبطت الكناية بمقام النصيحة والموعظة؛ كسبيل للتخفيف وتهوين الخطب على الشيخ، ولم يصرح المتكلم بلفظ (الشيطان)، واكتفى بالتكنية عنه؛ لمناسبتها الموقف، من شعور الشيخ بمرارة الجحود والنكران من غلامه العاق، وهو ما ربط الكناية بما سبقها، حيث جاء الفعل (استغفر) دالًّا على الإلحاح والتكرار اللازمين في ذلك الموقف.وقد أكَّد الفعل (تعَوَّذ) على معنى الاستغفار؛ لأن استغفار الرحمن يقتضي مخالفة الشيطان، فكانت الكناية المحور الذي عليه مدار العبارة.وكان للسجع دوره في إضفاء النغم الموسيقي على العبارة، حيث تصاعد جرس موسيقي يناسب جلال الاستغفار، ويؤكد على ضرورة التعوذ بالله من الشيطان الرجيم، على النحو الذي يخفف من حزن الشيخ، ويسكِّن عنه لوعته.

الخاتمة :

وعلى ما تقدم يمكننا أن نخلص إلى النتائج الآتية :

* إنَّ المقامة من الفنون الأدبية التي اخذت حيّزًا كبيرًا وصدى واسعًا حين ظهرت، فانشغل بها الناس وأبهرتهم حتى صار لها مجلسها الخص الذي يجتمع إليه الناس لسماع تلك القصة الخيالية التي شغلت أذهانهم وهي تنقلهم في عالمها المتخيل إلى عوالم تجرهم فيها إلى الانصات إلى ملقيها، أو مؤلفها.

* أنّ المقامات تحكي لهم حكايات شخصياتها بمسميات يعهدونها، لكن ليس لها وجود على أرض الواقع.

* صار لهذا الفن مؤلفوه الذين أخذت المقامة على أيدهم حيّز الوعظ، والإرشاد تارة، والتهكم وازدراء الوضع بصورة خفية تارة أخرى، وكل ذلك يتخلل أسلوبها الممتع، والشيق الذي يشد الانتباه إليه، وما دامت الوسيلة التي تعتمدها المقامة هي اللغة، فلا بد أن تستثمر جميع طاقاتها الإنتاجية، وفنونها الأدبية، وعلومها المتنوعة.

* إنّ البلاغة هي العلم الذي استند عليه كُتاب المقامة، فوظفوا الاساليب المختلفة فيها ومنها الكناية موضوع بحثنا هذا .

*إنّ المقامات النظرية التي الفها أبو بكر بن محسن بن عبد الله بن أبي بكر بن الحسين بن أحمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن باعبود بن عبد الله بن علي بن الشيخ محمد مولى الدولية،كان أديبنا الحضرمي أحد أفراد الجالية الحضرمية التي هاجرت إلى الهند والتي ضمت العديد من الأسماء العلمية التي عرفت وذاعت وصنفها لها أصحاب التراجم والأدب.

المصادر والمراجع:

ابن منظور، جمال الدين. (1980). *لسان العرب*. القاهرة: دار المعارف.

الجرجاني، عبد القاهر. (1992). *دلائل الإعجاز*. القاهرة: مطبعة دار المدني.

الحريري، أبو محمد القاسم بن علي. (1873م). *مقامات الحريري*. مطبعة المعارف.

للحضرمي. (1999). *المقامات النظرية*. ,تحقيق عبد الله محمد حبشي ، أبو ظبي: المجمع الثقافي.

المصري، أبو الإصبع: عبد العظيم بن الواحد ت: (654هـ)، تحقيق: حنفي محمد شرف. (د.ت). *تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن*. الجمهورية العربية المتحدة: المجلس الأعلى ،لجنة إحياء التراث الإسلامي.

مطلوب.، أحمد (1403هـ – 1983). *معجم المصطلحات البلاغيّة*. العراق: مطبعة المجمع العلمي العراقي.

الهاشمي ، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى. (1967). *جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع*. القاهرة: دار المعارف.

Sources and references:

Al-Hadrami. (1999). Theoretical positions. Verified by Abdullah Muhammad Habashi, Theoretical Maqamat: Abu Dhabi: Cultural Foundation.

Ahmed bin Ibrahim bin Mustafa Al-Hashimi. (1967). Jawahir al-Balagha in Meanings, Statements, and Badi'. Cairo: Dar Al-Maaref.

Ibn Manzur. (1980). Arabes Tong. Lebanon: Dar Al-Fikr.

Abu Al-Asba: Abd Al-Azim bin Al-Wahid Al-Masry, d. (654 AH), edited by: Hanafi Muhammad Sharaf. (d.t.). Editing ink in the making of poetry and prose and explaining the miracle of the Qur'an. United Arab Republic: Supreme Council, Committee for the Revival of Islamic Heritage.

Ahmed is wanted. (1403 AH - 1983). Dictionary of rhetorical terms. Iraq: Iraqi Scientific Academy Press.

Al-Hariri, Abu Muhammad Al-Qasim bin Ali. (1873 AD). Hariri's shrines. Knowledge Press.

Jamal al-Din Ibn Manzur. (1980). Arabes Tong. Cairo: Dar Al-Maaref.

Abdul Qahir Al-Jarjani. (1992). Evidence of miracle. Cairo: Dar Al Madani Press.